جدلية الانكسار الذاتي والوعي المأساوي في شعر عبدالله البردوني دراسة دلالية

The Dialectic of Self-Brokenness and Tragic Consciousness in the Poetry of Abdullah Al-Baradouni: A Semantic Study

د. بلال ابراهيم شبيب
Dr. Bilal Ibrahim Shabeeb

المديرية العامة للتربية في محافظة الانبار

الكلمات المفتاحية: الانكسار، الوعي، المأساوي، البردوني، دلالية

Keywords: Brokeness, Consciousness, Tragic, Al-Bardouni, Semantics

المستخلص

يعد الانكسار الذاتي من أبرز الظواهر التي شكلت التجربة الشعرية عند البردوني إذ انعكس شعور الشاعر بالاغتراب والالم والقلق الوجودي في كثير من نصوصه الشعرية فغدت قصائده مرآة لصراع داخلي متأزم بين الذات والواقع وقد نشأت هذه الجدلية نتيجة عوامل متعددة منها المرض والفقر وخيبات الأمل والواقع السياسي والاجتماعي فضلا عن الاحساس العميق بالوحدة والانحسار الإنساني فكانت صور هذا الانحسار واضحة جلية في شعره كلها حملت أبعادا نفسية ودلالات توحي بالتشاؤم والاختناق والبحث عن الخلاص كما أظهرت لغته الشعرية المشحونة بالعاطفة والصور المتكسرة والإيقاع الحزين في إمكانية إبراز معاناته الذاتية لذلك بدا شعره سجلا نفسيا يكشف هشاشة الإنسان وهو يحاول مقاومة تحولات الحياة والتقلبات الإنسانية المتكررة ومن هنا أصبح البردوني انموذجا للتجارب الشعرية الحديثة التي مزجت بين الألم الشخصي والهم الانساني العام وكل هذا كان الهدف منه هو التعرف على الازمات النفسية التي يمكن أن يتعرض لها الانسان بصورة عامة والشاعر بصورة أخص وكيف للشاعر أن يعبر عن هذه الأزمات. كما هدفت الدراسة إلى معرفة مدى استثمار الشاعر لبناه اللغوية في محاولة نقل الحالة النفسية المنكسرة بصورة أدق وأعمق. وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الدلالي في محاولة الوصول إلى إبراز النتائج التي يمكن ان أستنبطها له.

Abstract

Self-reflection is considered one of the most prominent phenomena that shaped the poetic experience of Al-Baradouni, as the poet's feeling of alienation, pain, and existential anxiety was reflected in many of his poetic texts. His poems revealed an internal conflict between the self and reality. This conflict resulted from several factors, including illness, poverty, shattered hopes, political and social reality, in addition to a deep feeling of loneliness and human defeat.

The images of this defeat appeared clearly in his poetry, all carrying psychological dimensions and connotations suggesting pessimism, suffocation, and the search for salvation. His poetic language was also characterized by emotional intensity, repetitive imagery, and a sorrowful rhythm in order to

highlight his personal suffering. Thus, his poetry became a sincere record revealing the fragility of human beings while attempting to resist life's transformations and recurring human hardships. From this perspective, Al-Baradouni became a successful model of modern poetic experience that blended personal pain with universal human concerns. All of this aimed at identifying the psychological crises that humans in general and poets in particular may experience, and how the poet expresses these crises.

The study also aimed to identify the extent to which the poet employed his linguistic structure in attempting to convey the recurring psychological state in a more precise and profound manner.

This research relied on the descriptive analytical method in an attempt to reach and highlight the results that can be inferred from it.

المقدمة

إن الباحث في خبايا الشعر الحديث يجد ان هناك إشارات مبثوثة في ثنايا اللغة لم نقل انها غابت عن أعين الباحثين وإنما غفل البحث في تناولها من زوايا ضيقة في محاولة استنطاقها ومن تلك المواضيع التي لم يتطرق إليها البحث هو موضوع جدلية الانكسار الذاتي والوعي المأساوي في شعر عبدالله البردوني دراسة دلالية. وأنا لا أقول ان الموضوع بكر أو مبتكر وإنما الجدةُ فيه هو طريقة التعامل مع المفردات ومحاولة استنطاقها وبيان ما آلت إليه من دلالة وما إنفجرت عنه من معاني .

وقد إعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الدلالي ليكون لنا المعين ونحن نحاول استنطاق الكلمات لمحاولة الوصول إلى المخبوء من المعاني فيها.

أما عن الدراسات السابقة فلعل هذه الدراسة ربما تكون هي الأولى من ناحية الطرح الدلالي أما عنها فهناك دراسة بعنوان تمظهرات السؤال في شعر البردوني للباحث أمين صالح أحمد العلياني. ودراسة بعنوان فلسفة الحوار المبتور في شعر عبدالله البردوني للباحثة مروة أبو اليزيد، ودراسة بعنوان الشخصية الإستعارية في شعر عبدالله البردوني دراسة سيميائية للباحثين مصطفى إبراهيم الضبع ومها بنت عبدالله سعيد الزهراني، ودراسة بعنوان سيميائية الصورة في شعر البردوني للباحث عبد الكريم محمد عبدة قاسم، ودراسة بعنوان سيميائية الحواس في شعر عبدالله البردوني من ديوان أرض بلقيس إنموذجا للباحث يحيى علي قاسم الوجيه، ودراسة بعنوان آليات الإيحاء البلاغي ووظائفه في شعر عبدالله البردوني دراسة في التكامل التأويلي للباحث سعيد هادي سعد القحطاني.

لذا تطلب منا البحث خطة شاملة توزعت على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع وقد أشرت في المدخل إلى الجدلية التي دارت حول الإنكسار وأشكاله ثم دلالة الفاظه التي ذكرها البردوني في شعره ثم أخذتُ في المبحث الأول ظاهرة انكسار الشاعر نفسه وكيف واجه هذا الانكسار وكيف عبر عنه من خلال شعره أما المبحث الثاني فقد تطرقت إلى انكسار الزمن عند البردوني وكيف تعامل معه وكيف جاءت الفاظه أما المبحث الثالث فقد تناولت انكسار المكان والذي جاء بشعره منوعا بين انكسار المكان الحقيقي وانكسار المكان المجازي.

ثم جاءت الخاتمة لنسجل فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال رحلتنا مع البردوني لينتهي بحثنا بقائمة ضمت أهم المصادر والمراجع التي أفدنا منها وقد جاءت هذه المصادر حافلة بالتنوع الثقافي والمعرفي ما بين الكتب الشعرية وهي ديوانه وكتب الأدب واللغة وغيرها.

التمهيد

لقد حمل شعر البردوني عبر تاريخه الطويل عطر المعاناة الحادة والظروف الخشنة الجلدة فحين تنهمر مشاعر الانسان الشاعر تسيل على أثرها كنوز خضراء أو تجتمع آهات وتختزن معاناة. ثم بعدها تنفجر هذه المشاعر دفاقة مرة أخرى ليضل صوته قوياً في عطاءاته رغم انكساراته المتنوعة ورغم انشغالاته . إذ يتحدث بلا حواجز أو فواصل أو نقاط وهذا ما يميز شعره بعمق التجربة الإنسانية وكذلك تعدد الطبقات الدلالية والتي تعكس بدورها تشظيات الذات وتقلبات الواقع الاجتماعي والسياسي ألذي عاشه .

لذلك يعد الانكسار في شعر البردوني أحد أبرز الثيمات الحاضرة في شعره بوصفه يمثل التجربة الذاتية مروراً بالهم الكلي وإنتهاء بمأساة الانسان .لذلك نرى إن الانكسار عند البردوني يمثل معادلاً موضوعياً لتجربته كشاعر لأنها تجربة مركبة من الهم النفسي الذاتي لأنه فاقد البصر مروراً بالاستلاب السياسي والواقع القاسي من القهر المجتمعي. لذلك فالشاعر فقد بصره في سن مبكر ولكن لم يفقد بصيرته الشعرية بل تحول عماه إلى نافذة استبطان عميقة جعلته يعبر عن آلامه الذاتية من خلال صور شعرية مكثفة ذات حمولات رمزية ودلالية عالية.

يقول **(البردوني، 1970: 57)** :

كفيف وفي عينيه حلم مبصر يرى ما يرى الناس بل ما لا يرى

إن الانكسار عند البردوني لم يكن انكساراً وجودياً بقدر ما كان تمرداً على انكسار الذات فالذات الشاعرة لم تهبه نفسها بل حولته إلى طاقة احتجاجية وظفها توظيف شعري حارب به البنى السلطوية العليا سواء أكانت اجتماعية أم سياسية لذلك نراه يكثر من مفرداته الإنكسارية في أشعاره مثل (الدمع ، القيد، الجراح، الضياع، الكسل، الهم،.....) لذلك أشار عبدالعزيز المقالح إلى هذا المنحنى عند البردوني بقوله (كان البردوني شاعر الانكسار اليمني لا بمعناه السلبي بل بقدرته على تحويل هذا الانكسار إلى يقظة وطنية تدين المستبد وتستنطق المقهور) **(الصالح، 1978: 102)**.

ومن الواضح إن قضية الانكسار عند البردوني هي لم تكن فردية معزولة بل لها صداها الاجتماعي إذ يلتقي عنده الذاتي المفرد بالجمع الشامل في نقطة واحدة وهي الألم لذلك فان شعره لا يمكن فصله عن السياق السياسي والإجتماعي باليمن خصوصاً والعالم العربي عموماً .

المبحث الاول: انكسار الإنسان الشاعر

شهد الشعر العربي منذ نشأته الأولى انشغالاً بالذات الإنسانية محاول عبر جولاته محاكاة هذه الذات ومحاولاً استنطاقها تارة والدفاع عنها تارة أخرى ولكن التحولات التي أصابت العصر الحديث الشعري وما رافقها من أزمات وجودية و وجدانية دفعت الشعراء إلى محاولة التعبير عن قضية الانكسار الإنساني لوصفه ملازماً للوعي العربي المعاصر لذلك لم يعد شاعرنا رغم الانتكاسات المتكررة صاحب ذات منتصرة أو فخورة بل اصبح كائناً هشاً يبحث عن معنى وجوده في عالم مضطرب إذ يمثل الانكسار النفسي في الشعر الحديث حالة من الانفصال بين الذات وواقعها حيث تعيش الذات صراعا داخليا بين ما هو كائن وما ينبغي ان يكون مما يولد شعورا دائما بالقلق والانكسار. لذلك يأتي الانكسار عنده بوصفه انعكاساً لمأسي الإنسان الحديث كالاقتراب والانفصال عن الجذور والانكسارات السياسية والخذلان العاطفي لذلك يقول إحسان عباس (إن تجربة الشاعر في الانكسار يحول الشعر إلى وسيلة للإجتراح والاعتراف وفضاء للبوح بانكساراته أمام الجموع) **(عباس، 1971: 4/2)** لذلك يعد البردوني مثالاً للانكسار الشعري إذ تتجلى في قصائده صورة الإنسان المكسور تحت وطأة خذلان الروح. لذلك تعد الروح المنكسرة في الشعر المعاصر ذاتا مأزومة تعاني من العجز والتناقض الداخلي سواء أكان ذلك العجز ماديا أم معنويا وهو ما يجعل الانكسار بنية دلالية أساسية في الخطاب الشعري. وهو ما يفسره الناقد كمال أبو ديب إذ يتخذ من الانكسار عند البردوني بعد انطلوجياً لا مجرد حالة وجدانية عابرة **(ابو ديب، 1994: 191).**

لذلك فإن انكسار الإنسان عند البردوني لا يمثل مجرد تأثر بحالة خارجية بل هو تحول في الرؤيا الجمالية والوظيفة التعبيرية في الشعر إذ أصبح الشعر فضاء للاحتواء والتشظي الإنساني لا استعراض القوة أو الفخر كما في العصور السالفة فقوله **(البردوني، 1970: 12):**

كان يبدو كصائم ما تعشى ... الملايين فيه ، جوعى وعطشى
اثث القلب للعراة ويحكى ... انه ما اذاق جنبيه فرشا
وحدي – نعم كالبحر وحدي ... مني ولي جزري ومدي
وحدي والاف الربى ... فوقي – وكل الدهر عندي

لقد جسد البردوني حالة الانكسار الذاتي بقوله (وحدي نعم كالبحر وحدي، مني ولي جزري ومدي) هاجس الانهزام وتحركت عنده مشاعر الانقطاع عبر سياقه بإبراز التشبيه (كالبحر) الذي عضد الموقف الشعوري لدى الشاعر لذلك حاول تأكيد وجوده عند الأثر وتوثيق حياته بتكرار (وحدي) والتي مثلت

عصب القلق الانكساري الأساس الذي يلتقط أدق التموجات النفسية وهو يمضي في صحراء الحياة. لذلك تتخذ التعبيرات الانكسارية عند البردوني منحى تأمل لا يقصد إثبات الضياع بقوله (مني ولي) إنما يقصد به الضياع نفسه وهو انكسار قلِق يفضي في مختلف صوره وحالاته إلى مدار الحقيقة الحاضرة الغائبة وهي إن الحياة أصبحت ضلال شبحية لا تقوى على المجابهة ولا الظهور إلى الواقع إنما تبقى حبيسة آلامه وانكساره . وقوله **(البردوني، 1970: 14)**:

أقول ماذا يا ضحى يا غروب؟ في القلب شوق ما في القلوب
في القلب غير البغض غير الهوى فكيف أحكي يا ضجيج الدروب
لم يذوب القلب مما به كم ذاب .. لكن فيه ما لا يذوب

إن مخاطبة البردوني حالاته الانكسارية بعبارة إستعارية مجازية هو بمثابة إعلان منه إن الواقع أصبح لا يلبي حاجاته ولا يستجيب لها فقوله (يا ضحى يا غروب ، يا ضجيج الدروب) لذلك أصبح الانكسار عنده ذات طبيعة تواصلية تربط الواقع باللاواقع من أجل تحقيق الانفتاح العميق للمعنى ويؤكد كذلك بها الشاعر على شاعريته من جهة ومن جهة أخرى يقدم لمحة إلى ما وراء النص وبهذه العبارات يعرض فلسفات وانكسارات ومرجعيات تنفتح على دلالات عميقة توضح وتعرض انكسار الإنسان الشاعر. لذلك فإن هيأة الانكسار عند البردوني حملت في ثناياها صوتاً مقاوماً يعلو في وجه الانكسار ومستلهم ذلك ومخاطب (الغروب ، والدروب) ليصبح بذلك رمزاً للصبر والإباء . لذلك فإن الإطار الانكساري عند البردوني يعتمد على إيقاع خطابي حر يتكئ على تكرار(النداء) وهذا الذي منح النص الانكساري طابع شبه ترنيمي يعمق خطاب الوجع المجتمعي حيث تأخذ العبارات الانكسارية منحى تأملي وجودي يتأرجح بين النكوص والانبعاث من جديد لذلك فإن مخاطبة الغروب والدروب يحمل نفس سوداوي يعكس حالة القلق للذات الشاعرة الجمعية أمام خيبة الماضي وخواء الحاضر وضبابية المستقبل أما قوله **(البردوني، 1970: 15)** :

منذ بدأنا الشوط .. جوهرنا الحصى بالدم الغالي وفردسنا الرمال
واتقدنا في حشى الأرض هوى وتحولنا حقولا وتلال
من روابي لحمنا هذي الربى من ربى أعظمنا هذي الجبال

إن شعرية الانكسار عند البردوني ذات طبيعة عنكبوتية تربط الماضي بالحاضر بكل أشيائه وبكل تجلياته بعبارة (مذ بدأنا الشوط) والتي شكلت محور الانكسار والهزيمة والتي أعطت انطباع أولي بأن الشاعر تذمر بمرحليتين المرحلة الأولى هي مرحلة الانهزام الماضي بدليل (مذ) والمرحلة الثانية هي مرحلة التحول إذ أن فكرة المقاومة والصمود بعد الانكسار هي عملية صحية في أي إنسان وفي أي مجتمع والصمود وهذا ما دللته الرموز الطبيعية التي جاء بها البردوني مثل الحصى والأرض والجبال

والتي جسدت القوة والثبات. إذ عمل البردوني على ربط العناصر الطبيعية مع التجربة الإنسانية مظهراً كيف تصبح الأرض وكل شي فيها معاوناً وسنداً للهوية والذاكرة وقوله **(البردوني، 1970: 17):**

هل هنا أو هناك غير جذوع غير طين يضج ، يعدو ويقعي
لو عبرت الطريق عريان أبكي وأنادي ، من ذا يعي أو يوعي
يا فتى ! يا رجال! .. يا، وانسى في دوي الفراغ صوتي وسمعي

إن الأسئلة التي يطرحها الشاعر هي ليست أسئلة مألوفة مثل أي سؤال إنما هي أسئلة إنكارية مبطنة بمعرفة مسبقة تعبر عن حيرة الإنسان وخياراته بين البقاء في المألوف أو المغامرة نحو المجهول لذلك فإن حالة الانكسار عند البردوني أثرت سلباً على الاستعمال اللغوي إذ جعلته يخلط بين العامي المحكي والفصيح بقوله (يا رجال ..... يا....) فلم تعد الحاجة عند الشاعر بنوع الكلمة أو قيمتها بل الهدف وكل الهدف هو نقل الحالة وتوصيل الفكرة الذي أضفى على النص طابعاً دراماياً وكأن النص حوار مع الذات أو صرخة إجتماعية مدوية **(كيليطو، 2013: 56)** أما قوله **(البردوني، 1970: 19):**

المسافات معي تمشي ، إلى ركبتي ، تأتي ، ومن ساقي تغادر
ومن هنا، ومن نصف وجهي ، وإلى نصف وجهي سائر ، والدرب سائر

إن الحالات الانكسارية عند الشاعر هي محطات مشتركة للوجود بين الوعي الواقعي والواقع المستقبلي لذلك فإن انكسار الشاعر بقوله (مسافات، تمشي ، ركبتي، ساقي تغادر ، وجهي) يعكس لحظة اغتراب وانكسار وانفصال الجسد الواحد وتحركها في إتجاهات متضادة وهذا يظهر انفصال بين الذات وجسدها ولأجل ذلك أصبح الجسد عند الشاعر مساحة للصراع الداخلي والهجرة الداخلية . لذلك تتجلى فكرة الانكسار والتشظي في هذا النص وهو عندما يفقد الإنسان تماسكه ويصبح جزء منه غريباً عن الاخر وقوله **(البردوني، 1970: 46):**

ماذا تغني ، من تناجي في الغنا
ولمن تبوح بكامن الوجدان؟
هذا نشيدك يستفيض صبابة
حرى كأشواق المحب العاني
في صوتك الرقراق فن مترف
لكن وراء الصوت فن ثاني
كم ترسل الالحان بيضا إنما
خلف اللحون البيض دمع قاني
هل أنت تبكي أم تغرد في الربى
إن في بكاك معازف وأغاني

لقد مثل الانكسار الشعري عند البردوني نزهة قصيرة تدور بين الصوت والصدى وبين الظاهر والباطن من خلال إستعارة الغناء والمناجاة كوسيلة لإستكشاف الذات والوجود ومحاربة الانكسار والهزيمة بقوله (ماذا تغني ، من تناجي ، لمن تبوح، ترسل الالحان، هل أنت) إذا جسد الاستفهام مركز الانكسار الشعري في محاولة التواصل بين الذات والأخر والوجود وكذلك يحمل إلى الإزدواجية والتناقض في النفس البشرية ويعكس العلاقة الخفية عند الشاعر بينما يعلن وما يخفي أو كل ذلك هو انكسار داخلي بين الرغبة في الغناء ومحاولة التنفيس عن الهزائم المتعددة والمتكررة عند الشاعر وبين عمله الإبداعي الذي يظهر هذه الانكسارات والهزائم وقوله **(البردوني، 1970: 49-50)**:

ولكن متى مت ؟ كنت (بخيتاً)
فصرت شعوباً تسمى ((بخيت) (البردوني، 1970: 86)
لان إسمك إمتد فيهم، رأوك
هناك إبتديت ، وفيك إنتهيت
فأين الاقيك هذا الزمن
ومن أي حقل وفي أي بيت؟
الاقيك أرصفة في ((الرياض))
وأوراق مزرعة في ((الكويت))

إن الانكسار عند البردوني رابض يترصد طريقه وينعق جناباته لذلك على الشاعر أن يقتحم ويثبت أمام مطبات الحياة ومصائد الأيام. لذلك جسد الشاعر حالة الانكسار الشعري بـ(لكن) الاستدراكية ومحاولة دمجها بإستفهام إنكاري الانكساري بدلالة (مت) والتي بدورها تتطرق إلى إشكالية الزمن الوجودي وعلاقته بين الذات والكون بقوله (فيك إبتديت وفيك إنتهيت) كمظهر من مظاهر القسوة للإشارة إلى جفاف الشاعر من كل مظاهر الحياه والعيش فأصبح رمزا من رموز الهلاك والصراع الذي لا طائل منه ولا فائدة منه ولا هدف سوى العيش وانتظار المصير, أما قوله:

وفي كل طيف يرى ذنبه — فماذا يقول وما يدعي
فيملي على سره قائلا — أنا مجرم النفس والمطمع
أنا سارق الحب وحدي أنا — خبيث السقا قذر المرتع
هوت إصبعي زهرة حلوة — فلوثت من عطرها إصبعي
توهمتها حلوة كالحياة — فكانت أمر من المصرع
أنا مجرم الحب يا صاحبي — فلا تعتذر لي فلم تقنع
ولا لا تقل معك الحب بل — جريمته والخطايا معي

إن المتأمـل فـي نصـوص البردونـي الانكسـارية وتوسـعاتها المجازيـة يجـد آفاقـا معقـدة ومكنونـات غامضـة تتعاضـد فيمـا بعضـها لتخفي حالـة الانكسـار التـي يمر بهـا الشـاعر فقولـه في كل طيف فمـاذا يقول أنا مجرم النفس تظهر حالة الانكسار النفسي المهزوم بدلالة أنا مكررة لتوهم نفسه بوصفها ذاتا مضطربة شاهد عليها فقد فقدت توازنها أمام مطبات الحياة وخيبة التجارب.

فالشاعر هنا لا يتحدث عن من يمنحه الطمانينة بل عن انكسار وخيبة أمل قادته إلى الشعور بعقدة انكسار الزمن والضياع تجاه نفسه وتجاه العالم حوله لذلك يصف نفسه بـ(أنا مجرم, أنا سارق) وهو إقرار بجلد الذات والاحساس العميق بالخطيئة النفسية لان تكرار الأنا هنا لا يدل على الاعتزاز بل على العزلة الخانقة التي جعلته يحاسب نفسه باستمرار لذلك فإن ازمة الانكسار عند البردوني بدأت تاخذ أبعادا لا واعية إذ يتجلى هذا الانكسار في صورة المرأة التي يقول عنها بانها زهرة حلوة وهذا ما يجعلها رمز النقاء والصفاء والعفة ولكن هذا النقاء جعل الشاعر واقترابه منها بمثابة إعلان الحرب النفسية عليها كونه لا يستطيع ان يتغلب على هواجسه الذاتية ورغم كل هذا قاده الاقتراب إلى مساحة التوتر والاضطراب إذ يقول بأن عطرها أفقده صوابه وهذا ما يدل على إن الحب عنده أصبح طاقة تدميرية كاملة .

والذي يبدو إن الشاعر هنا أعلن إنهزامه وانكساره واقفا عاجزا عن التكيف مع خيبته وعلى ذلك تتحول اللغة الشعرية إلى مساحة إعترافات متلاحقة يغلب عليها الحزن والندم كما مثلتها الالف ذات الحمولة السلبية مثل مجرم وسارق والتي بدورها تعكس الروية السوداوية وهكذا يصبح النص تصويرا لمعاناة داخلية عميقة يتجسد فيها الانكسار النفسي والاحساس بالذنب وفقدان الثقة بالحب والحياة معا, أما قوله **(البردوني، 1970: 88)**:

إن لم يكن لديك قلب فهل رحمت قلبا بين اضلاعي
رعيتني حتى ملكت الغنى عني فكنت الذئب في الراعي
يا ظالمي والظلم طبع الخنا قطفت عمري قبل إيناعي
قد ضاع ما أرجو فما خيفتي إذا دعاني للفنا داعي
لا لم أعاتبك فقد أقلعت عنك شجوني أي اقلاع
إن كنت خداعا فإن الورى ما بين مخدوع وخداع
ما بين غلاب ومستسلم ما بين محروم وإقطاعي

لقد شكل الانكسار النفسي عند البردوني منفذا من المنافذ التي أودت به إلى الانكفاء على الذات ومحاسبة النفس وربما القسوة عليها في بعض الاحيان لذلك طفح شعره بغربة انكسارية تبدو للوهلة الأولى ملازمة له طوال حياته إذا لم تكن الحياة كلها قد أمنته ببعض الأمل ما يزجيه على مواجهة الحياة لذلك تجسد الانكسار النفسي في النص من خلال صورة الشاعر وهو يرى انكساره أمام تجاربه الانسانية والعاطفية بنبرة خيبة واضحة وهو يناجي المحبوبة بقوله خلقت وهو بذلك قد جمع اشتات الآمال

والاطماع معا ورغم كل هذا يواجه حقيقة الخذلان والفقد عندما يراجع نفسه ويقول ويستذكر بقوله ورحت ولا عدت ما يجسد ويعمق إحساس الشاعر بالترك بلا سند ولا مصير مما يعكس الشعور العميق بالعجز والانكسار وكل هذا حاصل عندما يتحول الحب والخوف إلى مصدر للألم بدل الطمانينة وهذا ما عمقه بقوله أرعيتني حتى ملكت الغنى عني فكنت الذئب والراعي الذي جعل انكساره يبلغ ذروته حين يصور نفسه فريسة سهلة للغواية والخداع والحسرة فالحب النبيل الذي كان يضمره لمن يحب أصبح رمزا للخيانة بينما يظهر هو بصورة الضحية المخدوعة والذي منح الثقة لمن لا يستحق وكل هذه المنبهات جعلت البردوني يبرز مظاهر الانهزام الكامل من خلال إيراد الكلمات المفتاحية مثل الخنا الخداع غلاب مستسلم إذ تتسع هذه المفردات حالة من حالات الياس والقهر النفسي موكدا شعوره بالعجز وهو انسان لا يملك القدرة على المقاومة بل يعيش حالة إستسلام كامل للمعاناة .

المبحث الثاني: انكسار الزمان عند البردوني

إذا كان الشعر العربي قد عبر عن انكسار الزمان بوصفه مأساة وجودية فإن انكسار الزمان عند البردوني غالباً ما يتقاطع مع انكسار المكان عنده في توليفة فنية تعكس جدلية العلاقة بين الذات والزمن . إذ لم يعد الزمن منفصلاً عن البيئة او الشاعر نفسه بل صار انكساره إمتداداً لانهيار كل من حوله لذلك يرى صلاح فضل (إن الشاعر الحديث بات يرى الانكسار تجلي للخراب الوجودي فتتداخل صور الانقاض مع هشاشة الكائن الإنساني)**(فضل، 1993: 208)** لذلك فإن انكسار الزمن بدأ عند الشاعر عندما خلع جلده عنه منفرداً عن كل عوائق الحياة وتعثرات الزمن ليجسد هزيمة نفسية لرياح الزمن وتقلباته التي قد أشاعت الفوضى في نفسه فالزمن في التجربة الشعرية الحديثة لم يكن إطارا محايدا للاحداث بل تحول إلى قوة ضاغطة تمارس فعلها القاسي على الذات فيغدو الماضي موطنا للفقد والحاضر مساحة للانهيار والمستقبل أفقا معتما فانكسار الزمن عند البردوني هو رمز متعدد الوجوه فحضوره وإبرازه شجاعة وحياة وغيابه إنطفاء وحسرة لذلك يقول جابر عصفور (إن الزمان في القصيدة الحديثة لم يعد ديكوراً بل صار جسداً ينبض بانكسارات الشاعر وتحولاته) **(عصفور، 1999: 132)** وهكذا فإن انكسارات الزمان في شعر البردوني يعد من أبرز ملامح الحساسية الشعرية الجديدة التي لا تفصل بين الوجود الفردي والجود الجمعي بل تنظر إليهما ككيانين مترابطين من الألم والضياع. فقوله **(البردوني، 1970: 42)**:

يبكي ، يغني ، يجتدي سامعاً وهو المغني والصدى والسميع
يهذي فيجثو الليل في أضلعي يشوي هزيعاً، او يدمي هزيع
وتطبخ الشهب رماد الضحى وتطحن الريح عشايا الصقيع
ويلهث الصبح كمهجورة يجتاح نهديها خيال الضجيع

إن الانكسار عند البردوني بمثابة شبح وإن جميع ما إمتلكه في الحياة وحرص عليه ليس سوى وهم أو ظل او سراب. لذلك فإن الانكسار في الزمن عنده يصبح ويمسي ليعكس حالة العزلة والهزيمة الداخلية إذ

يظهر الشاعر نفسه في موقع هامشي مبتذل بعيد عن الاضواء غير أضواء النهار وخفاء الليل لذلك فقوله (الليل في أضلعي، رماد الضحى، يلهث الصبح) كلها عبارات تعبر عن الانهيار العاطفي والنفسي وما يترتب عليه من عالم سوداوي يحيط بالذات في مشهد سريالي تختلط فيه الظلمة بالجماد والفراغ بالصمت لذلك عبر البردوني بهذه الاستعمالات عن مشاعر مختلفة يخاطب بها ذاته ليظهر من خلالها محاولة الخلط بين الحلم والخذلان مما يكرس حالة الانكسار الإنساني الزماني باللغة شاعرية دقيقة, وقوله **(البردوني، 1970: 20):**

هو الشر ملء الأرض والشر طبعها هو الشر ملء الامس واليوم والغد
وهذا غبار الارض آهات خيب وهذا الحصى حبات دمع مجمد

إن استحضار البردوني لجوه الانكساري المتمثل بقوله (هو الشر ملء الأرض، هو الشر ملء الأمس) هو تعبير انكساري لا شعوري يفصح عن نزوع الشاعر لتوليد رغبته في الحياة واستمراريتها رغم الاجواء المأساوية التي كان بصددها .فالجو الانكساري الذي ملأ الارض وملأ الامس ما هو الا إعلان منه من سوداوية الحياة من كل إتجاه وناحية ليتكيف على العيش بعناصر الحياة المختلفة رغم إنتشار الشر في الزمان والمكان بعد ما كان . روح غامرة بالحب ناضحة بالعطف والحنان تأسي لأحوال ناسها وأبناء مدينتها بينما هي في أمس الحاجة إلى لمسة مواساة او همسة محبة وهذا إيذان منه وردة فعل الطبيعية اتجاه الحياة لذلك كان البردوني حريصاً على أن يخلق لنفسه شخصية متزنة وقوية لا يأخذها اليأس إلى مهاوي الضياع أو الانهيار أمام مطبات وسقطات الحياة وقوله **(البردوني، 1970: 64):**

حيث تهوي قطع الظلما كاشلاء الضحايا
وتطل الوحشة الخر سا كأجفان المنايا
والدجى ينساب في الصمت كأطياف الخطايا
والسكون الاسود الغا في كأعراض البغايا
وأنا أدعوك في سري وأحلامي العرايا

يحرص الشاعر على استعمال ظاهرة التشخيص بوصفها ظاهرة فنية لنقل أفكار وما يجول في خاطره إلى متلقيه فهو. اذن يدخل أعماق الواقع ليقدم أفكار تظهر ما يعانيه وما يعاني المجتمع من واقع مرير تعبير عن مدى إحساسه بالصدمة التي يمكن ان يتلاقاها فقوله(تطل الوحشة، والدجى ينساب في الصمت ،السكون الأسود) كلها عبارات لصوغ تجربة إنسانية وجودية زمانية غارقة في العزلة والبحث عن الخلاص وكل هذا جاء من خلال سلسلة من الصور المتعاضدة بين الوحشة والصمت والسكون والتي ترمز إلى الحيرة الوجودية أو اليأس الروحي. كذلك استعمال أداة التشبيه التي عضدت وعمقت حالة الانكسار الزمني لقوله (كأطياف المنايا ، كأعراض البغايا ، كأحلام العرايا) والتي خلقت متعاضدة مع (زمن الدجى) وخلقت أثر ذلك غموض ينساب مع الغموض الوجودي الذي يعيشه الشاعر بكل تجلياته

وعواصفه التي تمد الشاعر بطاقة شعرية وشعورية يستند إليها الشاعر في عبوره لمطبات الحياة ومصائبها وقوله **(البردوني، 1970: 70)**:

فأمنحيه يا واحة الحب ظلا وأنفضي حوله ندى الأقحوان
وأسكبي الفجر في دجاه ورفي في شقا حبه رفيف الجنان
إنه هائم يعيش ويفنى بين جور الهوى وظلم الزمان
ميت لم يمت كما يعرف النا س ولكن يموت في كل آن

إن المتلقي يستطيع ان يلمس حالة الانكسار الزماني عند الشاعر من خلال الصورة الشعرية التي تشكل البنية المركزية في القصيدة عن طريق إحساسه المنفرد فقوله(فإمنحيه، أسكبي الفجر، أين جور الهوى) إذ جسدت هذه العبارات صراع انكساري يدور بين اليأس والامل والعطاء والخذلان عبر إستعارته (بكلمة واحة) كملاذ آمن في صحراء الوجود. لذلك فإن الجو الانكساري عند البردوني محاط بفكرة تعكس القهر التاريخي والتمزق الداخلي الذي تعرض له الشاعر في حياته .وقوله **(البردوني، 1970: 89)**:

هذي البيوت الجاثمات إزائي ليل من الحرمان والإدجاء
من للبيوت الهادمات كأنها فوق الحياة مقابر الأحياء
تغفو على حلم الرغيف ولم تجد الا خيالا منه في الإغفاء
وتضم أشباح الجياع كأنها سجن يضم جوانح السجناء
وتغيب في الصمت الكئيب كأنها كهف وراء الكون والأضواء

إن الشاعر عندما يريد أن يلملم أفكاره الشعرية يلجئ إلى اللفاظ او عبارات أو صور تعضد مقولته فقوله(هذه البيوت، ليل من الحرمان، فوق الحياة، أشباح الجياع، مقابر الأحياء) تكشف عن رؤية انكسارية لاذعة للمؤسسات الاكاديمية التي تحولت من مصادر الاشعاع الفكري إلى مقابر للأحياء مع التذكير على ثنائية الجوع المادي والجوع الفكري المعرفي. لذلك فالأفكار جاءت من خلال رؤية تهاوي الأيام واحد تلو الآخر وكل هذا اعلان منه وشعور بالمأساة على الصعيد الفكري منا جعل الشاعر يعبر بانكساره عن قضايا عامة بفكر فردي وهمة وحدوية فقوله **(البردوني، 1970: 91)**:

وأحسهم في سد روحي في دمي في نبض أعصابي وفي أعضائي
فكان جيراني جراح تحتسي ري الأسى من أدمعي ودمائي
ناموا على البلوى وأغفى عنهمو عطف القريب ورحمة الرحماء
ما كان أشقاهم وأشقاني بهم وأحسني بشقائهم وشقائى

إن الشاعر من خلال انكساره حين يعلن في بؤسه ويتهيأ في الوجود غير الإنساني يسلبه كل رمزية إنسانية كان يتكئ عليها. إذ يسدل عليه أستار الحزن ويفتح عليه أستار المقابر والحفر وكل ذلك عندما يتخطى الشاعر بواقعه كل هذه القيم لتبقى هناك نفس تواقه إلى تعميق وتحقيق ذلك التكامل الإنساني

المفقود فقولـه(فكان جيرانـي ، نـاموا علـى البلـوى ، وأغفـى عنهمـو) إذ يعكـس الانكسـار الـذاتي بـين الألـم والتعاطف حيث يصبح الجار جرحاً يشير به الشاعر في عملية تبادل غريبة بين الألم والشفاء . وهذا الانكسار إنما هو انكسار خارجي يرمز إلى التداخل بين الذات والأخر عندما يصبح الألم عند الجار والصديق جزء من الالم الشاعر نفسه إذ ان القرابة الجغرافية تخلق قرابة وجدانية عميقة وهذا ما حاول الشاعر ايصاله في ان تحديد زمن او سبب الألم هو ما يعكس العلاقات الأنسانية المعاصرة فقوله **(البردوني، 1970: 92):**

حين يشقى الناس أشقى أنا معهم وأنا أشقى كما الناس يشقون وحدي
وأنا أخلو بنفسي والورى كلهم عندي ومالي أي عندي
لا ولا لي في الدنا مثوى ولا مسعد الا دجى الليل وسهدي
لم أسر من غربة الا إلى غربة أنكى وتعذيب أشد
متعب أمشي وركبي قدمي والأسى زادي وحمى البرد بردي

إن الاشارات الانكسارية تهتم في قتل الرتابة الوجدانية وعرض الصورة بكل ابعادها فقوله (حين يشقى الناس، أن أخلو بنفس، لا ولا لي في الدنيا) عبر من خلالها عن أزمة الاقتراب والانكسار الوجودي والخروج حيث تصبح كل غربة زمنية وقتية هي مدخل لغربة أعمق وفي دائرة مفرغة من العذاب والانكسار والضياع والفشل. لذلك فهو دائما في رحلة البحث الذي لا تنتهي أما قوله **(البردوني، 1970: 90).**

نامت ونام الليل فوق سكونها وتغلفت بالصمت والظلماء
وغفت بأحضان السكون وفوقها جثث الدجى منثورة الأشلاء
وتململت تحت الظلام كانها شيخ ينوء بأثقل الأعباء
أصغي اليها الليل لم يسمع بها إلا أنين الجوع في الاحشاء
وبكا البنين الجائعين مرددا في الأمهات ومسمع الاباء
ودجت ليالي الجائعين وتحتها مهج الجياع قتيلة الاهواء

إن الزمن هو جزء مهم من الحياة أو يكاد يكون الحياة كلها فالبردوني هنا جسد موقفه أمام هذه الحالة الوقتية المتكررة بوصفها قوة قاسية تفرض نفسها باستمرار وكذلك تفرض صمتها من الوحدة والانكسار, فالشاعر يرسم مشهدا ليليا ساكنا تغلفه العتمة بقوله وتغلفت بالصمت والظلام وغفت بأحضان السكون فالزمان كله ميت أو مودي إلى الموت وما حياته إلا اللحظة التي يعيشها وما بعدها في عداد المجهول لان الزمن عنده تحول إلى حالة من الجمود النفسي فالليل الزمني هو ليس مجرد وقت عابر بل رمز لثقل الايام وعجز الأنسان أمام إمتدادها .

أما قوله **(تسللت تحت الظلام, وأنين الجوع في الاحشاء)** فقد أظهر فيه البردوني مواجهته مع الزمن بصورة أكثر ألما وجرأة وكما وصف حالة المرأة الجائعة والمؤلمة ليرتبط زمنه هنا بالمعاناة المستمرة التي يعاني منه هو شخصيا ومن حوله ولذلك ولكثرة الألم والمعاناة الزمنية عند البردوني إستعمل التشخيص بقوله أضفى عليها الليل لم يسمع بها فقد منح الليل صفة الكائن الصامت الذي لا يستجيب مما يعكس شعوره بأن الزمن لا يصغي إليه ولا يعبا لحاله فالليل أصبح رمزاً لزمن ثقيل أصم وهذا ما يكشف رؤية تشاؤمية للزمن حيث يبدو الزمن قوة خانقة ترافق الانسان في ضعفه وفقره ووحدته وتجعله يعيش حالة الانكسار النفسي والانتظار المؤلم دون امل قريب بالخلاص منه أما قوله **(البردوني، 1970: 174)**:

لمن الهيام لمن تذوب هياما ولمن تصوغ من البكا انغاما
ولمن تسلسل من ضلوعك نغمة حيرى تناجي الليل والاحلاما
ونشائدا جرحى اللحون كانها من رقة الشكوى قلوب يتامى
يا شاعر الآلام كم تدمى وكم تبكي وتحتمل الهموم جساما
خفف عليك وعش بقلبك وحده وأسال نهاك لم البكا وعلاما
وأربا بنفسك فهي أسمى غاية من أن تذوب صبابة وغراما
كم هممت بالالام تشدو باسمها وعلى الانين تدلل الالاما

إن صورة الانكسار الزمني عند البردوني يعبر عن روية خاصة ونبرة وجدانية عميقة تظهر ومضة الصراع بين الذات الشاعرة ووطأة الزمن الذي يتجلى هنا بصورة الالام والهموم الجسام وهنا لا نعني الزمن بمفهومه الفيزيقي بل الزمن الذاتي للشاعر الذي يرى فيه نفسه وهو يحاول بسؤاله الاستنكاري لمن الهيام وهذا ليس مجرد تعبير عن الحب بل هو دلالة واضحة عن تآكل كيانه بفعل الوقت والزمن فالزمن لا يمر مرورا سهلا بل يستهلك الشاعر ويحيله إلى أنغام مستمدة من البكاء.

وإن هذا التحول من الكيان الذاتي الصلب المتمثل بالجسد الشاعرة والمشاعر الإنسانية الجياشة متحولة إلى نغمات حيرى تعكس شعورا بالهزيمة والانكسار فالفعل الانساني القوي المسيطر حينا قد تضاءل أمام حتمية الزمن ليصبح مجرد صدى حزين متهالك هذا من جانب اما الجانب الآخر فقوله خفف عليك وقوله وأسال نهاك يظهر حالة الانكسار أمام عجلة الزمن ولكن الانكسار لا يعني التوقف عن الحياة بل يعني التحول واختيار طرق اخرى تعاود فيها الحياة بشكل سريع ومباشر على الرغم من أن الزمن عنده مليء بالخيبات والهموم والتي بدورها تفوق قدرة القلب على التحمل وهنا يرى نفسه ضحية الوقت ولا يلق تجاهه إلا اغنية اللجوء إلى الزمن المتسارع .

المبحث الثالث: انكسار المكان في شعر البردوني

في شعر البردوني لم يعد المكان يمثل خلفية صامتة للأحداث بل أصبح عنصر فاعلاً ومحملاً بالدلالات النفسية والسياسية فقد شهدت القصيدة المكانية عند البردوني تحولاً فمن موضع الإنتماء

والحماية إلى موضع الفقد والخذلان فظهر ما يسمى بانكسار المكان وان هذا الانكسار غالباً ما يرتبط بفقدان الأرض او تدمير المدن او إختفاء الأمكنة الرمزية وهذا ما يعادل الطلل في الشعر الجاهلي، أما عن الشعر الحديث فالمكان لم يعد فضاء للألفة والإستقرار وإنما صار رمزا للغربة والتشظي إذ يشعر الشاعر بأن الأمكنة القديمة فقدت طمانينتها وتحولت إلى مرايا للضياع النفسي. لذلك يرى عبدالعزيز المقالح(إن انكسار المكان في الشعر الحديث ليس مجاز فقط بل هو وصف دقيق لصدمة الشاعر العربي حين فقد مكانه الرمزي سواء في الوطن او في الذات)(**المقالح، 1989: 76**) لذلك أصبح البردوني في انكساره المكاني يتحرر من منطقية والواقعية في الشعر لذلك بات رفضه واقع وانكساره واضح أمام المجتمع والسياسة والتقاليد وهو ما حدى به إلى تصادم خيالاته مع الواقع واللغة لذلك يقول ادونيس (إن الشاعر في انكساره يتشضى في الذاكرة ليصبح مرأة لانكسار الذات نفسها) (**ادونيس، 1997: 245**) لذلك فالانكسار لا يخص الشاعر فحسب بل يتعدى الانسان وبيئته ويعكس نظرة الشاعر للمكان من الحاضر الآمن إلى المنفي الطارد من المؤلوف إلى الغريب فقوله (**البردوني، 1970: 37**):

أي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع في الكوفة الماء وحيناً ينبع ماء المحيا؟

إن الحالات الانكسارية عند البردوني هي نظرات مشتركة بين الوعي الواقعي والمستقبلي لكل مرحلة من حياته لذلك فقوله (يبيع في الكوفة الماء) إتخذت منحى انكسارياً تأملياً نقدياً في وضيفته وموقفه من الكرامة. فهو لا يرى في التسول فكري او التسول في الشعر والتكسل به شرفاً بل نراه يقدم مفارقة ساخرة وهي كيف لشاعر يبيع ماء الحياة بقليل من الماء وهذه رمزية الشعر والإبداع أن يكون قبلها بائع للماء الحسي. لذلك إن حالة الانكسار عند البردوني تعكس مرارة الشاعر من تدهور حالته ومكانة كثير من الشعراء في زمنه وعندها كشف عن النزعة الاخلاقية التي تتخلل شعره وهي نزعة انكسارية تطالب في الشرف الذاتي والتعالي على الإذلال الإجتماعي. وقوله (**البردوني، 1970: 49**):

سيدي : هذي الروابي المنتنه لم تعد كالأمس كسلى مذعنه
نقم يهجس ، يعلي رأسه صبر يهذي يحد الألسنه
يسلح يومي، يرى ميسرة يرتئي عيبان يرنو ميمنه
لذرى بعدان الفا مقلة رفعت ، أنفاً كأعلى مئذنه

إن شعر البردوني كما يرى د.محمد عبدالمطلب (ينهض على وعي للتاريخ المغسول بالدمع ويتغنى بالماضي لا تمجيد بل إستدعاء لتغير الحاضر) (**المقالح، 1980: 203**) لذا فالإشارات المكانية الانكسارية هي إشارات مبطنة بواقع مؤلم والتي جسدت حالة المقارنة النفسية والفكرية بين حال وحال فقوله (سيدي هذا الرواب المنتنه، لم تعد كالأمس كسلى مذعنه) تحمل في جعبتها إنفجاراً داخلياً ذات دلالات وطنية فالجبال لا نرمز فقط للمكان بل للثبات والقوة والعزة وهذا النوع من الرمز المعكوس حيث

لا يقف الإنسان أمام الطبيعة بل تتكامل معه من أجل مشروع تحرري تحولي الغرض منه رفعة الأنسان. لذا فالإشارات الانكسارية مثلت له كنزهة قصيرة مزجت بين الصح تارة والهم واليأس تارة أخرى معلل من خلالها نفسه بالآمال بغية أن يزيل عن نفسه هموم ثقيلة قد أرقت الشاعر وأنهكت فكره لذلك نرى أن المستوى الإنفعالي المنكسر الذي مر به البردوني قد أسهم في إمكانية خلق حالة من حالات التعادلية النفسية الهدف منها هي اكمال الحياة بدلالة (تومي ، ترنو) وقوله **(البردوني، 1970: 57)**:

من أرض بلقيس هذا اللحن والوتر — من جوها هذه الأنسام والسحر
من صدرها هذه الآهات من فهما — هذي اللحون ؛ ومن تاريخها الذكر
من السعيدة هذي الأغنيات ومن — ظلالها هذه الاطياف والصور
أطيافها حول مسرى خاطري زمر — من الترانيم تشدو حولها زمر
من خاطر اليمن الخضرا ومهجتها — هذي الأغاريد والأصداء والفكر

إن أقسى ما يمكن أن يمر به الأنسان من إنكسارات هو انكسار الوطن لأنه يخلف بعده ألم حاد وموجع يصعب التشافي منه أو حتى نسيانه. لذلك تمثل هذه الأبيات علاقة البردوني باليمن الأم الوطن الحاضر الغائب في كل تفاصيله إذ تتحول هذه الإنكسارات إلى رموز وطنية ممزوجة بالألم والدمع. إذ يرى عبدالعزيز المقالح إن البردوني (جعل الوطن صوتاً داخلياً يكتب به ذاته) **(المقالح، 1984: 94)** لذلك قوله (من خاطر اليمن الخضرا) جعل الإنكسار المكاني حياة ليس بها طرقات فالمجال الشعري المنكسر من وراء ذلك هو الأنا المكتومة الصامتة في مقابل الأنا الصارخة المعبرة. لذلك الرمز الانكساري في النص شحن الجو الشعري بمادة حسية ولا سيما إنه ذكر الضياع بطرقات الحياة بخلق البيئة الجمالية المعبرة عن هيئة الانكسار وقوله: **(البردوني، 1970: 82)**:

كلما غنت جرى من فمها — جدول من أغنيات وشكايا
أهي تبكي أم تغني أم لها — نغم الطير وآهات البرايا؟
صوتها يبكي ويشدو آه ما — ذا وراء الصوت ما خلف الطوايا
هل لها قلب سعيد ولها — غيره قلب شقي في الرزايا ؟

يقول كمال أبو ديب إن البردوني (ينتمي إلى طبقة الشعراء الذين يصوغون المعاناة بوصفها جوهر الوعي الذاتي لا مجرد حالة شعورية عابرة) **(أبو ديب، 1981: 194)** لذلك يستمر البردوني في محاولة إنكساره إلى إسقاط تجربته الشعورية على صوت أنثوي يجعل من البكاء حالة شعورية واحدة هدفها الأول هو التسلية الروحية ومحاولة الإستقرار النفسي. لذلك يتلاشى من خلالها التميز بين الفرح والحزن ويصبح بعد ذلك الغناء نفسه صورة من صور الشكوى لذلك يقول د. إحسان عباس (إن البردوني هو شاعر التناقضات الداخلية يغني ويتألم ويضحك من فرط الحزن)**(إسماعيل، 1966: 301)** لذلك فحالة الانكسار الذاتي قد جسدت باهات المكان وهو (البرايا) ليصور من خلالها ما يعانيه ويختلج في نفسه

وهو أعمق بكثير وأبعد حدود من أعماق اللفظة. فهناك تجارب إنسانية تعصى ويعجز الإنسان التفسير عنها لذلك يأتي الشاعر بهذه الألفاظ ليترك المجال مفتوح أمام من يقرأ وقوله **(البردوني، 1970: 85):**

ولم يستمع غير صوت الضمير ينابيه من سره الموجع
فيشكو إلى من ؟ وما حوله سوى الليل أو وحشة المخدع
كئيب يخوفه ظلمه فيرتاع من ظله الاروع

إن التنويعات الانكسارية المكانية التي يستعملها البردوني هي محاولات تجريبية تهدف إلى إعادة التوازن الانكساري من جانب ومن جانب آخر هي لإستثارة القاري ومع هذين الجانبين هناك رغبة ملحة عند الشاعر بامكانية الثبات والسير في الحياة لذلك رسم البردوني في هذه الأبيات لوحة شعورية داكنة يشوبها الانكسار والهزيمة يكشف من خلالها إنعدام الروح أمام شكوى الليل وشكوى المخدع لذلك قوله (سوى الليل ووحشة المخدع) إذ جسدت إنغلاق الذات في صمت الوعي الموجوع. فالصمتُ هنا هو ليس صمت مرئي بل صراعاً داخلياً مكتوماً صورة من (من سره الموجع) فهي تفتتح على رمزية الغرق في الوعي أو اللاوعي لذا لا ملاذ للذات سوى الانكسار ووحشة الليل أو المخدع .

إذ إن الحياة القلقة التي لعاشها البردوني بكل مراحلها الجسمانية والإجتماعية والفكرية هي حياة غير مستقرة عليه ولا على المجتمع الذي يعيش فيه لأن حياته (هي لحظة جديدة ضمن لحظة الحداثة الكونية الشاملة) **(العزاوي، 1997: 10)** وهذا كله قد جسده البردوني. إذ إن فلسفته الفكرية ووعيه قد زاد من انكساره لأنها قد تتحول من أداة للفهم إلى ضل مرعب في مفارقة صعبة تزيد من عمق الإغتراب والانكسار. لذلك يرى جعفر العلاق إن شعر البردوني يمثل (إنهيار داخلي يتحول إلى طاقة رمزية متفجرة يلبس فيها الواقع القاسي بلبوس التأمل الفلسفي)**(الجمالي وفضل، 1997: 142)** أما قوله **(البردوني، 1970: 89)**

هذي البيوت الجاثمات إزائي ليل من الحرمان والإدجاء
من للبيوت الهادمات كأنها فوق الحياة مقابر الأحياء
تغفو على حلم الرغيف ولم تجد ألا خيالا منه في الأغفاء
وتضم أشباح الجياع كإنها سجن يضم جوانح السجناء
وتغيب في الصمت الكئيب كإنها كهف وراء الكون والأضواء
خلف الطبيعة والحياة كإنها شي وراء طبائع الاشياء
ترنو إلى الامل المولى مثلما يرنو الغريق إلى المغيث النائي

إن النص الشعري عند البردوني يحمل مجموعة من الطقوس الانكسارية لما يمكن أن يسميه بالانكسار المكاني حيث لا يظهر المكان المتمثل بالبيوت والمدن كملجأ أو موطن للأمان فحسب بل يتحول إلى قوة قمعية تحاصر الأنسان كله. إذ إن الحياة عنده لا تنتهي إلى الحد الذي يرى فيه الأماكن

وهي تتهاوى أمام عينيه وهو واجم ساكن ولا يحرك ساكنا لأن المكان عند البردوني هنا ليس فضاء للحرية بل هو ليل من الحرمان والإدجاء فالانكسار المكاني يتجلى في تحول المسكن من مأوى إلى سجن يطبق على صدر ساكنيه إلى حيث يشعر الانسان بالصغر والضالة أمام جدرانه وهي لا تمنحه سوى الظلمة.

لذلك فإن التحول في المكان وفقدانه لروحه وتحوله من سكن إلى كفن فبعد إن كان المكان ذو صوت وحركة أصبح مهزوما يكتفي بكونه شاهداً صامتاً على بؤس الساكنين ومن هنا يتبين بان المكان لا يحيي الإنسان بل ربما يهزمه عبر تضييق الخناق عليه مادياً من الجوع والحرمان ومعنوياً في العزلة والظلمة حتى يصبح البقاء داخل هذا الحيز نوعا من الموت البطيء أما قوله **(البردوني، 1970: 114)**

والقلب في زحمة الأشواق مضطرب كزورق بين إرغاء وأزباد
ووحشة الظلمة الخرساء تهددني كنها حول نفسي طيف جلاد
والصمت يجثو على صدر الوجود وفي صمتي ضجيج الغرام الجائع الصادي
والليل يسري كأعمى ضل وجهته وغلب عن كفه العكاز الهادي
كأنه فوق صمت الكون قافلة ضلت وضل الطريق السفر الحادي
ولم أزل أشتهي منك بارقة من عاطف الحب أو إشراق إسعاد

إن الصورة الشعرية المكانية الانكسارية هنا تعكس جانباً مهما من إحساس البردوني وهو يواصل تلك النغمة البائسة والتي تشير إلى إنه لا يزال مثقلاً بالهم مما يجعل منه إنسانا أكثر تكلفا في إمكانية إستحضار صوره الانكسارية وهي تنزلق من إحساساته في رسم ملامح الانكسار المكاني إلا إنه هنا ينقل المعركة الانكسارية من ساحة الجدران والبيوت إلى ساحة الفضاء والكون الوجودي حيث يصبح المكان مرادفا للضياع والوحشة المطلقة لأن الكون عنده وحشة يمتلك القدرة على التهديد فقوله **(الصمت يجثو على صدر الوجود وفي صمتي ضجيج الغرام)** يكرس هنا فكرة الثقل المكاني الذي يهزم الوجود بأسره.

فالصمت هنا هو ليس غيابا للصوت بل هو كتلة مكانية تضغط على الصدر لذلك فلغة التشاؤم تبقى هي الطابع المميز الذي يحوي أحاسيس الشاعر الانكسارية إذ إن الإحساس بغيرها يتبع من إحساسه بذاته وكانه لا يستطيع أن ينزع نفسه من حزنه لتدخل في خضم الحزن الإنساني فعندما يضل الإنسان الطريق يصبح المكان عندما ويصبح العيش فيه نوعا من التيه الأبدي.

فالشاعر هنا منكسر مهزوم لأن المكان الذي يسير فيه قد فقد شرعيته كمسار يؤدي إلى هدف فأصبح تائها وهو بذلك فشل في إحتواء الإنسان ومحاولة توجيهه مما يجعله يدور محاصراً من الصمت والظلمة في فضاء فسيح لكنه خال من المعنى والوجهة.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة يمكن القول إن تجربة الجدليات الانكسارية تمثل أحد أبرز الملامح النفسية في شعر البردوني إذ لم تكن هذه الجدليات مجرد حالة شعورية عابرة بل هي بنية فكرية وجمالية واسلوبية مهدت الطريق أمام الشاعر كي يفصح عن مكنونات نفسية دفينة وحساسة تتغلل في ثنايا النص الشعري معلنة عن نفسها لتشكل رويتها عن العالم والذات معا .

لقد عبر الشاعر من خلال هذه الرحلة عن مكنون داخلي مليء بالانفصال عن الواقع وكذلك ما يمكن أن يرافقه من قلق وجودي وتوتر روحي عميق انعكس إيجابا في لغته وصوره الشعرية من خلال إيقاعها الحزين .

وكذلك يظهر الشاعر جدليته الانكسارية من خلال إحساسه بان ذاته وحيدة إضافة إلى فقدانه الانسجام مع المجتمع وهذا ما ولد عنده نزعة التأمل في الموت والزمن والعدم وهي موضوعات يكشف من خلالها الشاعر عمق التجربة الانسانية التي يعيشها .

كما إن هذا الانكسار لم يكن سلبيا بالكامل بل تحول في كثير من الأحيان إلى طاقة إبداعية أسهمت في بناء رؤى شعرية حديثة أكثر جرأة وصدقا في التعبير عن معاناة الإنسان الداخلي .

وبذلك يمكن القول إن الانكسار النفسي عند البردوني يشكل عنصراً أساسيا في إمكانية صوغ التجربة الشعرية المعاشة وهذا الذي منح نصوصه الشعرية الانكسارية بعداً إنسانيا وفلسفيا يعكس صراع الروح وهي تكافح من أجل البقاء والتأمل ومن اهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- أظهر الانكسار عند الشاعر البردوني تحول في الذات الشاعرة فبعد إن كان اليقين هو المسيطر على الشاعر أصبح القلق والتمزق النفسي هو اللاعب الوحيد نتيجة الصدمات السياسية والاجتماعية والوجودية التي عاشها .
- إن انكسار البردوني كشف عن قدرة الشاعر عن التعبير عنه بتقنيات فنية حديثة في الشعر مثل الانكسار الرمزي وتداعي الصور وتكثيف اللغة مما أسهم في تعميق اللغة الانكسارية عنده .
- تجلت صور الانكسار النفسي عند البردوني في إغترابه عن نفسه وأهله ومجتمعه إذ عبر عنه الشاعر بشعور ملئ بالعجز والوحدة وفقدان الأمل بألفاظ موحية مليئة بالهزيمة والإنطفاء .
- أسهم الانكسار عند البردوني في بناء رؤية نقدية للواقع إذ اتخذ البردوني انكساره وسيلة لرفض القهر السياسي والإجتماعي ومحاولة الخلاص منه.

المصادر

عباس، إحسان. 1971. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. دار الثقافة. بيروت.

عباس، إحسان. 1978. من الرومانسية إلى الحداثة. دار العودة. بيروت.

أبو ديب، كمال. 1981. الرؤيا والشكل: مقدمة في شعر الحداثة. ط3. دار العودة. بيروت.

أبو ديب، كمال. 1986. الروى المقنعة: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

أدونيس. 2002. الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والاتباع عند العرب. ط8. دار الساقي. بيروت.

البردوني، عبد الله. 1970. زمان بلا نوعية. دار العودة. بيروت.

البردي، مصطفى إبراهيم، والزهراني، مها بنت عبد الله سعيد. 2023. الشخصية الاستعارية في شعر عبد الله البردوني دراسة سيميائية. مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، جامعة بابل. مج31، ع4.

الحيمي، عبد الله محمد صالح. 2020. آليات الإيحاء البلاغي ووظائفه في شعر عبد الله البردوني. رسالة ماجستير. جامعة صنعاء. اليمن.

العليان، أمين صالح أحمد. 2023. تمظهرات السؤال في شعر البردوني. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والأدبية، جامعة بغداد. مج62، ع1.

العزاوي، فاضل. 1997. الروح الحية: جيل الستينات في العراق. ط1. دار المدى. دمشق.

الصالح، عبد العزيز. 1978. دراسات في الشعر اليمني المعاصر. دار العودة. بيروت.

عصفور، جابر. 1999. زمن الشعر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

عصفور، جابر. 2006. رهانات الرواية. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت.

المقله، عبد العزيز. 1980. جدلية الشعر والتاريخ. دار العودة. بيروت.

المقله، عبد العزيز. 1984. قراءة في أدب اليمن المعاصر. دار العودة. بيروت.

المقله ، عبد العزيز. 1987. قراءة في أدب الحداثة. ط1. دار العودة. بيروت.

إسماعيل، عز الدين. 1966. فن الشعر العربي الحديث. ط1. دار العودة. بيروت.

فضل، صلاح. 1997. الشعر والتلقي: دراسات في التفاعل الجمالي. ط1. دار الشروق. القاهرة.

قاسم، عبد الكريم محمد عبدة. 2018. سيميائية الصورة في شعر البردوني. رسالة ماجستير. جامعة ذمار. اليمن.

كيليتو، عبد الفتاح. 1983. لسان آدم: اللغة والكتابة في الثقافة العربية. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء.

الوجيه، يحيى علي حسن. 2019. سيميائية الحواس في شعر البردوني. رسالة ماجستير. جامعة صنعاء. اليمن.

أبو اليزيد، مروة. 2023. فلسفة الحوار المبتور في شعر عبد الله البردوني. مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، جامعة كفر الشيخ. مج28، ع4.

References:

Abbas, Ihsan. 1971. Tarikh al-Naqd al-Adabi 'inda al-'Arab. Dar al-Thaqafa. Beirut .

Abbas, Ihsan. 1978. Min al-Romantiziyya ila al-Hadatha. Dar al-'Awda. Beirut .Abu Deeb, Kamal. 1981. Al-Ru'ya wa al-Shakl: Muqaddima fi Shi'r al-Hadatha. 3rd ed. Dar al-'Awda. Beirut .

Abu Deeb, Kamal. 1986. Al-Riwa al-Muqanna'a: Nahwa Manhaj Binyawi fi Dirasat al-Shi'r. Al-Hay'a al-Misriyya al-'Amma lil-Kitab. Cairo .

Adunis. 2002. Al-Thabit wa al-Mutahawwil: Bahth fi al-Ibda' wa al-Ittiba' 'inda al-'Arab. 8th ed. Dar al-Saqi. Beirut .

Al-Barduni, Abdullah. 1970. Zaman bila Naw'iyya. Dar al-'Awda. Beirut .

Al-Bardi, Mustafa Ibrahim, and Al-Zahrani, Maha bint Abdullah Saeed. 2023. "Al-Shakhsiyya al-Isti'ariyya fi Shi'r Abdullah al-Barduni: Dirasat Simiyaiyya." Majallat Jami'at Babil lil-'Ulum al-Insaniyya, Jami'at Babil. Vol. 31, no. 4 .

Al-Haymi, Abdullah Muhammad Salih. 2020. Aaliyat al-Iha' al-Balaghiyya wa Waza'ifuha fi Shi'r Abdullah al-Barduni. Master's thesis. Sana'a University. Yemen .

Al-Ulayyan, Amin Salih Ahmad. 2023. "Tamaththurat al-Su'al fi Shi'r al-Barduni." Majallat al-Ustadh lil-'Ulum al-Insaniyya wa al-Adabiyya, Jami'at Baghdad. Vol. 62, no. 1 .

Al-Azzawi, Fadil. 1997. Al-Ruh al-Hayya: Jeel al-Sittinat fi al-'Iraq. 1st ed. Dar al-Mada. Damascus .

Al-Salih, Abdul Aziz. 1978. Dirasat fi al-Shi'r al-Yamani al-Mu'asir. Dar al-'Awda. Beirut .

Asfour, Jaber. 1999. Zaman al-Shi'r. Al-Hay'a al-Misriyya al-'Amma lil-Kitab. Cairo .

Asfour, Jaber. 2006. Rihanat al-Riwaya. 1st ed. Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi. Casablanca, Beirut .

Al-Maqalih, Abdul Aziz. 1980. Jadaliyyat al-Shi'r wa al-Tarikh. Dar al-'Awda. Beirut .

Al-Maqalih, Abdul Aziz. 1984. Qira'a fi Adab al-Yaman al-Mu'asir. Dar al-'Awda. Beirut .

Al-Maqalih, Abdul Aziz. 1987. Qira'a fi Adab al-Hadatha. 1st ed. Dar al-'Awda. Beirut .

Ismail, Izz al-Din. 1966. Fann al-Shi'r al-'Arabi al-Hadith. 1st ed. Dar al-'Awda. Beirut .

Fadl, Salah. 1997. Al-Shi'r wa al-Talaqqi: Dirasat fi al-Tafa'ul al-Jamali. 1st ed.Dar al-Shorouk. Cairo .

Qasim, Abdul Karim Muhammad Abda. 2018. Simiyaiyyat al-Sura fi Shi'r al-Barduni. Master's thesis. Dhamar University. Yemen .

Kilito, Abdelfattah. 1983. Lisan Adam: Al-Lugha wa al-Kitaba fi al-Thaqafa al- 'Arabiyya. Dar Toubqal lil-Nashr. Casablanca .

Al-Wajih, Yahya Ali Hassan. 2019. Simiyaiyyat al-Hawass fi Shi'r al-Barduni. Master's thesis. Sana'a University. Yemen .

Abu al-Yazid, Marwa. 2023. "Falsafat al-Hiwar al-Mabtur fi Shi'r Abdullah al-Barduni." Majallat al-Dirasat al-Insaniyya wa al-Adabiyya, Jami'at Kafr al-Sheikh. Vol. 28, no. 4 .